الفيلم المُلهم "نحو الأمام، أيتّها السوداء"

بواسطة أوكرانيا اليوم بتاريخ 14 يونيو، 2014 في 08:23 مساء | مصنفة في ثقافة و فنون، مقالات | لا تعليقات

مازن محمد ـــــ حزيران 2014

كان من الصعب النصوّر بأن أحدا ما، يمكن له أن ينشأ في مؤلفه جديد؛ بمستوى حدث الربيع العربي. فقد كان من غير المتوقع، حتى عند أعظم وأذكى رجال السياسة في العالم. فمن كان يظن بأن الزعيم حسني مبارك، والذي يقبض على مصر ويمسك بزمام الأمور في البلد قرابة 30 عاما، ومن حوله أناس تطلب استرضاءه دائما. سيجد نفسه ملقا في السجن ضعيفا كسيرا وعاجزا. وهل راودت بن علي يوما ما؛ فكرة طرده من البلاد أو فراره مع عائلته بتلك السرعة التي حدثت؟ وأن القابعين في السجن ظلما، أنهم سيتحررون، وفوق ذلك سيجدون أنفسهم من أكبر وأهم الساسة في تونس.

ولذلك كان من الصعب جداً، الأخذ بحدس وتكهن الصحفي الروسي سيرغي نارايروف، الذي كتب في سيناريو فيلمه الهزلي عن أحداث الثورة تنّاحج في مصر. ليس هذا وحسب بل سخرى في سياق نص السيناريو وأحداثه، ما بدل وينصل بالطبقة الحاكمة في أوكرانيا، والشريحة التي دخلت ساحتها السياسة وساءت أن تقرر مصير البلد، فالنظراء ذات الجدال، ومن تلقى حكما بتجاوزات القانونية والإختلاس. كل هذه الشخصيات لها حضورا في سيناريو السؤلف، وكأنه ينبأ بالأحداث وترتيبها حتى في تفاصيلها أحياناً. فتطابق تلك الشخصيات الحاكمة تتطاول عبر القرون. والظلال تشكّل عائقة ليست مكانيه فحسب بل زمانية أيضا.

لنبدأ القصة من البداية، ونحدّث قراءنا كيف انبثقت هذه الإشراقة وهذا الإلهام عند الكاتب.

هو مهندس ومبتكر في مجال الطاقة ودارس، كما أنه صحفي وكاتب سيناريو. في صيف 2009 بمدينة سانت بطرسبورغ، حيث كان الصحفي المستقل سيرغي نارايروف يعمل على مقالة يرصد فيها تقلم السوفتين الروس. وحد نفسه ولأول مرة بأنه لا يستطيع أن ينهي ألتزاماته في الموعد المحدد. اتصل بالمحرر وقدم اعتذاره في عدم القدرة على إتمام العمل. فما كان من المحرر إلا أن يقترح عليه السفر لمصر في جولة سياحية. نارايروف لم يقدم على السفر، لكن هذا الإقتراح أثاره من ناحية وجعلّه يتساءل بالتفكير بمصر القديمة، ويستزيد بالمعرفة فيما يخصّها، وهو الذي لم يلقى لها بالاً أو أي اهتمام في السابق بهذا القدر. وكان ثمة شيء ما يستحث تفكيره ويدفعه للمضيّ أكثر في البحث والمعرفة عن مصر. وبدت تتراءى أمامه وترتسم صور أشياء بلقطات لفيلم وتتدافع المشاهد في رأسه. وأدرك بأنه يجب ألاّ يفوّت لحظة الوحي والإلهام هذه. فولّدت لديه فكرة كتابة سيناريو لفيلم في نجري أحداثه على أرض مصر القديمة، يعرض فيه الحياة اليومية الراهنة القاسية. ومُقاساة البسطاء والمُظلم والجور الممارس من قبل الحكام. والظغيان الذي كان سائداً في الماضي ولازال مستمراً، وما تغيّر سوى أشكاله فقط.

قام سيرغي نارايروف بكتابة سيناريو الفيلم تحت عنوان "إلى الأمام، أيتها السوداء" وسارع إلى تسجيله وباتت جميع حقوق النشر محفوظة اعتباراً من تاريخ 25.01.2010 وبعد هذا التاريخ بعام كامل، وتحديداً في 25.01.2011 تنطلق الأحداث في مصر وعلى أرض الواقع وبنفس الطريقة، كما حتمّها سيناريو نارايروف. لقد اذهلت الأحداث الجميع ولم يكن لأحد أن يتوقع ما جرى. أدرك نارايروف بعد ذلك، أن عليه أن يقوم بهذا الفيلم وتصويره وعن الطريقة أن يقدم ملحمة المتناسقة. وكان الرائع في الأمر أن هناك ثمة من يرحب بالتعاون، ولّه تأثير وحضور في عالم السينما، ومد يد المساعدة ومساندة نارايروف في تنفيذ مشروعه وتحقيقه، لا لشيء سوى لعدالة الفكرة وصحتها. ولا عجب أن يتلقى السيناريو الإشادة والعديد من الجوائز. وقد يكون من أبرزها جائزة "أفضل سيناريو للعام" التي حصل عليها من قناة تلفزيونية أوكرانية وبشهادة من أنسخرج أليوتيودي خورونجيا.

أما فيما يخص عملية التصوير، فيمكن لنا أن نتوج بالجزء اليسير من تلك العملية، فريق التصوير مؤلف من مجرفين من عدة جنسيات مختلفة، والجميع حريص على أداء مهامه على أكمل وجه. وكما يمكننا القول بأن الفيلم بحدّ من نوعية أفلام "الكوميديا السوداء". وهنا تجدر الإشارة إلى وضع تنديد عند عبارة السوداء، والتي تطالما استخدمت هذه العبارة بالمعنى السلبي، وتر سّخت في الذاكرة الشعبية كلفظة مسكتة للفم والندم. بينما عند نارايروف، هنا العبارة مقترنة بالتطلع نحو العدالة الاجتماعية والقدرة على تحقيق الحرية. فأما نحن لا يسعنا سوى الانتظار بشوق لظهور الفيلم والذي من المتوقع له أن يُحدث صدى طيبا.

لقد ستّى المصريون القدماء بلدهم بعدة أسماء، فمن بينها "كمت" والتي تعني "الأرض السوداء". تجري احداث الفيلم في فترة انهيار ما يسمى بـ "مصر القديمة" حوالي 2560 ق.م، أي في نهاية عهد السلالة الرابعة على وجه التقريب، وعصر بداة الإهرامات الهائل. المؤلف هنا لديه محاولة للإجابة على ما تجنبه علماء الآثار المصرية وما اعتبر دائما عصيا، صعب التفسير، وهو مؤشرات ودلائل على وجود هندسة دقيقة، وتقنية معقدة وكأنها تضاهي التقنية الحديثة، ودور ها في الفناء الحضاري العالم، ومن ثم الإختفاء والتي تطالما استخدمت هذه العبارة بالمعنى السلبي، وتر سّخت في الذاكرة الشعبية كلفظة مسكتة للفم والندم. بينما عند نارايروف، هنا العبارة مقترنة بالتطلع نحو العدالة الاجتماعية والقدرة على تحقيق الحرية. فأما نحن لا يسعنا سوى الانتظار بشوق لظهور الفيلم والذي من المتوقع له أن يُحدث صدى طيبا.

لقد ستّى المصريون القدماء بلدهم بعدة أسماء، فمن بينها "كمت" والتي تعني "الأرض السوداء". تجري احداث الفيلم في فترة انهيار ما يسمى بـ "مصر القديمة" حوالي 2560 ق.م، أي في نهاية عهد السلالة الرابعة على وجه التقريب، وعصر بداة الإهرامات الهائل. المؤلف هنا لديه محاولة للإجابة على ما تجنبه علماء الآثار المصرية وما اعتبر دائما عصيا، صعب التفسير، وهو مؤشرات ودلائل على وجود هندسة دقيقة، وتقنية معقدة وكأنها تضاهي التقنية الحديثة، ودور ها في الفناء الحضاري العالم، ومن ثم الإختفاء والتي تطالما استخدمت هذه العبارة بالمعنى السلبي، وتر سّخت في الذاكرة الشعبية كلفظة مسكتة للفم والندم. بينما عند نارايروف، هنا العبارة مقترنة بالتطلع نحو العدالة الاجتماعية والقدرة على تحقيق الحرية. فأما نحن لا يسعنا سوى الانتظار بشوق لظهور الفيلم والذي من المتوقع له أن يُحدث صدى طيبا.

قصة الفيلم: بعود الشاب ابوفانح من التصحراء إلى قريته، بسقوط راسه، والذي كان بحدم في الجيش. لكن ما أن ينتطئ عتبة المنزل، حتى يفاجأ بمطالبة "حصارة القرن الواحد والعشرين". تبدأ الأم هنا والتي طالما انتظرت قدومه معافا سليما من الصحراء، بشرح وتقديم سلعات الحصارة الحديثة إليه، التي جلّت في البلاد ومعها الكثير من التقنيات المذهلة والسهيرة من خدمات الماء والكهرباء وإلى آخر ما هنالك من مظاهر التطوّر والتمدّن والتي من المفترض بها، أن تجعل من حياة الناس أكثر أمناً وتساهم في تيسير أمور هم. يذهب الفتى ابوفانح بعد ذلك للنوم وتحت وسادته موسوعة إكترونية، وهو مأخوذ بالدهشة والحماس.

تبدأ الشاب يومه مع الأسرة بالذهاب إلى المطعم ويلاحظ أن الكثير من الأمور قد تغيرت ولم تعد كالسابق. حتى التفاعل والعلاقات الإنسانية قد تبدّلت وبات الناس أقل مودّة، أقل عطفا، أقل صفاء. الإنسان نحول إلى قيمة بضائعية، سلعية. واضحية لكل شخص نسبة أو ظلمة تحدد هويته، وحتى الأم قد اصبحية لها أسم جديد "سوسانا"، وعند كل بضع خطوات يأتي رجال الحفاظ على الأمن والمراقبة. لقد عنت الحياة مع كل هذه التحولات الحضارية نشر القلق أكثر مما مضى، وأصبحت أخطر مما كانت عليه من زمن خطر المناسيم والأفاعي.

يقابل ابوفانح صديق الطفولة نيفرتوت، الذي يذكره بابتكاره الفديم وهو "توربين بخاري" ويقترح عليه، أن يوظّف هذا الإنجاز مستفيدا من التكنولوجيا الحديثة المتاحة، ويقوم ببيع حق الامتياز الخاص به. هنا تبدأ حولة الشاب ابوفانح مع رجال الدولة والموظفين، ويبدأ التصادم مع أصحاب المصالح الصغيرة، والمحتكرين وكيان الدولة المبروقراطي القائم. وعندما يبدي مقاومة وإصرارا على المضي لبلوغ هدفه، في تعميم إنجازه والإستفادة من ابتكاره تلاقيه المزيد من العراقيل وحبل الحداع، كما تبدأ محاربته من قبل الماكنين والمحتكرين وأصحاب النفوذ، فتلقى له التهم وتحاك له المكائد وتتم محاولة انتزاع أمتلاكه. ينجح ابوفانح مع صديقه نيفرتوت في الهرب باتجاه العاصمة، بعقبا كل شيء وراءه، وفي خرجته هذه يعلم بأن ابتكاره قد سرق، وقد تم الاستفادة منه وعلى نطاق واسع، ويقرر عندها ابوفانح اللجوء إلى الغرعون، وما أن ينجح في مقابلة الغرعون، حتى يتبين له بأن القرارات الحاسمة والمصيرية ليست بيد الحاكم الأول. بل أن الجزء العظيم المتحكّن من النظام البيروقراطي وكبار الموظفين المدافعون عن مصالحهم الخاصة. يصحون شرسين للغاية عندما نهدّر ركائز هم وتحلّ دعائمهم. وفي حلّ الأمر، هم من يسّرون الكثير من أمور الدولة. ونشر هنا معاناة المواطن الصالح أمام النظام الفاسد، كنموذج الإنسان أمام نظم العلاقات السيئة، وقيمة الإنسان في لحظتنا التاريخية والإنسان كقيمة تاريخية. وإلى ماذا سيؤدي كل هذا في المحيط العام.

على الرغم من المساندة الموعودة من الغرعون، فإن أسرة ابوفانح تكون عرضة للضياع والتشتت. وعلى المستوى العام تتصاعد حالات النضال ضد الدولة، التي باتت جسدها منجوراً وينذر بالإنهيار الوشيك. وهنا حيث تصل لنهاية الفيلم. هل تنجد الشكوك في إمكانية تغيير النظام؟ تبدأ الرمال الحارة بالتحرك وبطفو على السطح تنرد متكتلا حراكا شعبيا بنحو منحى الثورة على الحكم والحكام، على شخوصه وهياكله. فتسمى "الأرض السوداء" عنت حارقة.

تعريف للفيلم

عنوان الفيلم: "نحو الأمام، أيتها السوداء" أو "إلى الأمام أيتها السمراء"

المدة: 119 دقيقة

النوع: يعد من الكوميديا السوداء وينحو منحى تراجيدياً، ومضاد للمثالية، وكما أنه يدعو لإعادة النظر في التاريخ.

الموقع الخاص بمشروع العمل "إلى الأمام أيتها السوداء"

تلفزيون أوكرانيا اليوم
موقع أخباري مرئي

YouTube

الدراسة في أوكرانيا

للعلاج في أوكرانيا

• أوكرانيا اليوم

Фильм-вдохновение «Вперед, Черная!»

Кто бы мог представить, что найдется такой человек, который сможет предсказать события «арабской весны»? Ни один политик не ожидал ничего подобного. Невозможно было вообразить, что «современный фараон» Хосни Мубарак, крепко державший Египет в своих цепких руках почти тридцать лет из самого могущественного правителя превратится в слабого, бессильного и теперь и всеми забытого заключенного. Посещала ли его тунисского коллегу Бен Али хоть однажды мысль о том, что ему придется постыдно бежать вместе со своей семьей, а посаженные им политические противники займут его место в правительстве Туниса?

Но каким-то непостижимым образом русский журналист Сергей Назаров смог предсказать революцию в Египте в своем комедийном сценарии. Более того, совпадает не только обстоятельства событий, описанных в сценарии фильма, но и даже дата! На сайте forwardblack.com выложен нотариальный документ о том, что 25.01.2010(!) года был зарегистрирован и полистно прошнурован сценарий полнометражного художественного фильма «Вперед, Черная!», действие которого развивается в течении года и заканчивается не просто революцией в Египте, но именно революцией с сотовыми телефонами. Позже, удивительным образом стали сбываются в жизни и другие события, описанные в сценарии: замена «царицы с косами» (здесь и далее курсивом выделены прямые цитаты сценария «Вперед, Черная!» - прим. пер.) на «нашего уголовничка» (свергнутый президент Украины В. Ф. Янукович в молодости отсидел в тюрьме за грабеж – прим. пер.), «бунт народа» против него и «танки, которые придется двинуть, но стараться не стрелять». Таким образом, в произведении «Вперед, Черная!» безусловно предсказаны нынешние события и политические деятели Украины. И с помощью фильма тени этих самых правителей возникают уже перед нами из глубины веков, игнорируя законы пространства и времени.

Однако, я хочу подробно рассказать нашим читателям историю этого произведения. Летом 2009 года в Санкт-Петербурге независимый журналист С. Назаров работал над статьей о произволе российских чиновников. Но что-то мешало ему сосредоточиться. Когда он решил позвонить главному редактору и перенести согласованный с газетой срок, то услышал, что волноваться тут не о чем, и получил совет съездить отдохнуть на неделькуи… в Египет. Назаров принял совет к сведению, но с того момента не мог ни о чем больше думать, как о Египте, стал читать в огромном количестве материалы о его истории с древнейших времен. И чем больше он узнавал, тем яснее и отчетливее представлял себе картины из будущего фильма. Тогда у него появилась идея написания сценария художественного фильма, действие которого хоть и происходит в Древнем Египте, но при этом отражает неразрывную связь с современной действительностью: страдания, иллюзии и надежды простого народа, произвол и притеснения властей, беззаконие – все то, что было в прошлом и продолжает существовать в наши дни лишь в несколько измененном виде.

После того, как все описанные в фильме события начали в точности сбываться в реальности, Сергей Назаров осознал, что он просто обязан сделать так, что бы этот фильм увидели зрители во всем мире. Хотя первый приз будущая картина получила еще до начала съемок. В прямом эфире на сцене дворца «Украина» (еще до нынешних событий в этой стране - прим. пер.) соавтор легендарной «Санта-Барбары» вручил автору ежегодный приз международного жюри за лучший сценарий полнометражного художественного фильма.

С любезного разрешения автора, немного приподниму завесу тайны, раскрыв некоторые подробности о будущем фильме. Действие разворачивается в период так называемого Египетского Старого Царства в конце правления IV Династии и постройки Великих Пирамид. Здесь автор предпринимает попытку ответить на вопрос, который старательно избегают египтологи: как объяснить «внезапный» скачок строительных технологий в тот период, а позже столь же «внезапную» их деградацию к дохеопсовскому состоянию? При этом в других областях жизни древних египтян ничего необычного не наблюдалось. Единственным логичным объяснением этой загадки автору представляется кратковременное и узкопрофильное влияние таинственной и намного более развитой цивилизации. Хотя, своем произведении Сергей Назаров предпринял попытку сделать упор не на технологическом аспекте, а проанализировать общество. Для этого главный герой фильма обнажает все существующие общественные, экономические и политические отношения в нем.

Жанр фильма идеально точно соответствует названию - «черная комедия». Кстати, оно также означает не то, что Вы могли бы подумать. Дело в том, что именно так называлась страна, в которой правили великие фараоны. Насколько это прилагательное относится к миру, в который мы погрузимся с первых кадров фильма? Об этом предстоит судить зрителю. Надеюсь, они оценят это произведение по достоинству.

Моххамед Мазен (гражданин Сирии, проживающий в Украине)
mazen923@yahoo.com
mazenm923@hotmail.com
Оригинал статьи на арабском:
bowaib.net/?p=15220
Литературный перевод с арабского Анны Коровкиной
annie90@list.ru